اسم المادة الدراسية عربي : أدب عصور متأخرة .

اسم المادة الدراسية الانكليزي :Literature of Later Ages

اسم المحاضرة : شمس الدين الكوفي (حياته وشعره).

اسم التدريسي : أ. د. محمد عويد محمد الساير .

المستوى الدراسي : الثالث .

الدراستان : الصباحي / المسائي .

الاسبوع : الثامن .

- **شمس الدين الكوفي (٦٣٢ – ٦٧٥ هـ) :**
- **حياته الشخصية والمؤثرات الخاصة فيها :**

شمس الدين الكوفي ، هو محمد بن احمد بن عبيد الله الهاشمي، ولد سنة ٦٢٣ للهجرة، ولم تحدد المصادر مسقط رأسه ، أكان في بغداد أم في الكوفة؟ ويبدو أنه كان من أسرة كريمة محبة للعلم والأدب ، وجّهته منذ الصغر نحو الدرس والتعلم حتى اصبح كما يقول ابن شاكر الكتبي عالما شاعرا ظريفا.

دخل الحياة العملية بجدارة بعد امتلاك ناصية المعرفة والإحاطة بعلوم اللغة العربية وآدابها ، فتولى مهنة التدريس في المدرسة التشتية، وتسلم الخطابة في جامع السلطان، وتبوأ مقعد الوعظ بباب بدر. وكان حريصا على الإسلام والمسلمين ، أفاد الكثيرين في التدريس، وكان يحث الناس في خطبه و مواعظه على التمسك بعروة الدين، ويدعوهم إلى التكاتف والتعاضد والتعاون، ويحذرهم من شر الأعداء وغدرهم ... وقد وقع ما كان يخاف منه ويخشاه ، إذ داهم هولاكو بجيوشه الجرارة العراق ، وضرب العاصمة بغداد سنة ٦٥٦ للهجرة ، واستباح الدور والمساجد والمدارس، ونهب الأموال ، وانتهك الحرمات ، وقتل الناس بلا رحمة ولا شفقة. وتألم شمس الدين الكوفي أشد الألم، واعتصر الحزن قلبه ، وعبر عن مشاعره تجاه هذه الفاجعة الموجعة بقصائد كثيرة ، بكى فيها دولة بني العباس ، وعاصمتهم المنكوبة ، ووصف الفضائح التي ارتكبها هذا الطاغية ، وقد سماه محمد رضا الشبيبي في كتابه عن ابن الفوطي ((شاعر مأساة بغداد)).

وعاش بعد كارثة بغداد قرابة عشرة أعوام ، مفوضا أمره إلى الله ، و منيبا اليه في شعر صوفي رقيق، إلى أن أدركته المنية سنة ٦٧٥ للهجرة . شعره :

- **شعره (الأغراض الموضوعية والخصائص الفنية):**

وصل الينا شعر كثير لشمس الدين الكوفي ، وهو متناثر في المصادر الأدبية والتاريخية ، ولا ندري من اين جاءها هذا الشعر ! أأخذته من ديوان له كان موجودة بين أيدي مؤلفيها ، ام من صحف متفرقة كانت عند تلامذته ومحبيه الذين عاشوا بعده ردحا من الزمن ؟!! على كل حال ، فان الشعر المتبقي له يتوزع - في الغالب - بين الرثاء والغزل والوصف .

رثى شمس الدين الكوفي الأهل ، وندب الأحباب ، وأبَّن الأصحاب ، بقصائد تفيض بالدمع والأسى ، وتطفح بالحزن والألم ، وما نظنُّ شاعراً استطاع أن يصل إلى ما وصل اليه في بكاء الدولة العباسية التي زهت بنورها قرون عدة ثم خبت بأيام معدودات على ايدي طُغاة بُغاة ، فقد اقتطع

بكاءه عليها من فؤاده ، مثل قوله في قصيدة سلك فيها مسلك المتيمين الذين اضناهم فراق الأحبة الأعزة ، وقرَّح جفونهم كثرة البكاء:

عندي لأجل فراقكم آلامُ ... فإلامَ أعذلُ فيكم وألامُ
من كان مثلي للحبيب مفارقاً ... لا تعذلوه فالكلام كُلامُ
نعم المساعد دمعي الجاري على ... خديَّ إلا أنَّه نمامُ
قف في ديار الظاعنين ونادها ... (يا دارُ ما فعلتْ بك الأيامُ)

ويتساءل - على عادة من وقف على الأطلال - عن الراحلين الذين خلفوه يتجرع لوعة الأسى ، ومرارة الحرمان ، وعذاب الوحدة . ويُقسم على نفسه بالبقاء على عهد الهوى والمحبة مهما كلفه ذلك من مشقة وتعب :

وحياتكم إني على عهد الهوى ... باق، ولم يُخفرْ لدي ذمامُ
فدمي حلال إن أردتْ سواكمُ ... والعيشُ بعدكم علي حرامُ

ويسترسل على هذه الشاكلة إلى نهاية القصيدة في البكاء والنحيب دون الالتفات إلى مدينته المضروبة ، وما اصابها من دمار وخراب ، وقتل وتشريد واغتصاب ، ونهب وحرق وانتهاب ، واليك ما قاله في خاتمة القصيدة :

يا ليت شعري كيف حالُ أحبتي ... وبأي أرضٍ خيموا وأقاموا؟
ما لي أنيس غير بيت قالَه ... صبٌّ رمتهُ من الفراقِ سهامُ
(والله ما اخترتُ الفراق وإنما ... حكمتْ عليَّ بذلك الأيامُ)

واذا تمنى شمس الدين الكوفي الخلاص من أسر المذلة وقيود المهانة ، فإنه لم يتخلص من أغلال الصنعة في شعره الباكي الحزين ، ولا سيما التجنيس والتطبيق والمقابلة، مثل قوله:

ملابس الصبر نبليها وتبلينا ... ومدة الهجر نفنيها وتفنينا
كنا جميعا وكان الدهرُ يسعدنا ... والكائنات بكأس الأمن تسقينا
فالآن قرت عيون الحاسدين بنا ... بما جرى واشتقت منا أعادينا
فصار يرحمنا من كان يأملنا ... وعاد يبعدنا من كان يغلينا

والغرض الثاني البارز في شعر شمس الدين الكوفي هو الغزل الصوفي وذكر الديار الحجازية والتغني بها وقد حاكى في قسم غير قليل من شعره في هذا الغرض الشاعر العباسي الكبير الشريف الرضي في حجازياته ، وأغلب شعره في هذا الغرض تحلّى بصفاء الروح وصدق العاطفة وسموها وذكر الامكنة الشريفة المطهرة والبكاء شوقاً اليها كما في مثل قوله :

شهودُ غرامي في هواكَ عدولُ ... سهادٌ ودمعٌ سائلٌ ونحولُ
وشوقي إلى لقياكَ شوقٌ مبرّحٌ ... ولي شرحُ حالٍ في الغرامِ يطولُ

وشارك شمس الدين الكوفي في نظم الموشحات ، وهو متأثر - كما يبدو - بالشاعر الصوفي الكبير محيي الدين بن عربي الذي ارتحل من الأندلس ،

وتنقل بين مصر والشام والحجاز وبغداد وتوفي بدمشق سنة٦٣٨ للهجرة وقبره بالصالحية في مسجد يعرف باسمه في سفح جبل قاسيون.

قال شمس الدين الكوفي في مطلع موشحة له بلغة العاشقين المولهين وبأسلوب غنائي رقيق:

قد صفا الوقت وقد رق النسيمْ قمْ بنا نربحْ
قد خلا السمتُ ومن نهوى نديمْ حقنا نفرحْ
في طوى قد شمت جنات النعيمْ أبداً تفتحْ

والغرض الثالث الذي أحسن فيه ، هو الوصف ، وقد وصلت إلينا قصيدة له رائية جيدة السبك، لطيفة الحبك ، جميلة المعاني والصور ، تناول فيها الربيع ببهجته وغضارته ووشيه ، وبديع أزاهيره البهية ورياحينه الندية ، إلى جانب ثماره الشهية، وأصوات أطياره الشجية ، قال في أولها:

روحُ الزمان هو الربيعُ فبكرّ وانهضْ إلى اللذاتِ غيرَ منكّرِ
هذا الربيعُ يبيعُ من لذاته أصنافَ ما تهوى فأين المشتري؟
فافرحْ به فلفرحةٍ بقدومه رفلَ الشقائق في القباء الأحمرِ

ومنها :

والطلُّ من فوقِ الرياضِ كأنَّه درر نثرنَ على بساطٍ أخضرِ
وترى الربى بالنور بين متوَّج ومدملجٍ ومخلخلٍ ومسوّرِ
والورق بين مرجّعٍ وموجّعِ ومفجّعٍ ومسجّع في منبرِ

وهكذا كان شمس الدين الكوفي «من مشاهير شعراء عصره»، وشعره يعد صورة صادقة وصفحة واضحة للقرن السابع للهجرة.